الفصل الثاني

يا أهل القرآن

لقد أنعم عليكم ربكم بنعمة عظيمة ومنحة جسيمة فاعرفوا حقها واقدروها قدرها واشكروها يزدكم ربكم منها، فالشكر أساس المزيد وحفظ القرآن كرامة من الله لعبده، واصطفاء من الله له ولكن احذر أن يكون القرآن حجة عليك لا لك وإليكم أحبتي بعض الوصايا والنصائح أقدم بين يديها أقوالًا للسلف الصالحين وأسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصادقين المخلصين.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم قد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالًا على الناس[(١)].

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي إليه. ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدًا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسهو فيمن يسهو أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن[(٢)].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مضطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سكيتًا ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلًا ولا سخَّابًا ولا صيَّاحًا ولا حديدًا[(٣)].

---

(١) «التبيان»، ص [٤١].

(٢) «فضائل القرآن» لابن كثير، ص [٢٩٧] وقال الحويني: والصواب أنه موقوف.

(٣) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ١٦٣- ١٦٤)، ط: دار المنار.

وقال رضي الله عنه: إن الناس أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه[١].

وقال الفضيل بن عياض: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيمًا لحق القرآن.

وقال رحمه الله: ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم[٢].

ومن أروع ما حدثتُ به منذ أيام أن عالمًا فاضلًا خيِّرًا لقيه مجموعة من الشباب في المسجد الحرام بمكة المكرمة وكانوا من الفائزين بجوائز عمرة في مسابقة لحفظ القرآن الكريم فأخبروا الشيخ بذلك وقالوا: يا شيخ عظنا وانصحنا فقال الشيخ كلمة تغني عن آلاف النصائح وتبين فهمه وفقهه لكلام ربه إذ قال لهم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦] هذا فقط ما قاله الشيخ وكأنه يقول موعظتك في قلبك فاعمل بها. فكل خير في الدنيا والآخرة قد حواه هذا القرآن الذي حفظتموه ولو عملتم به ما احتجتم إلى نصح ناصح وتعالوا إخوانى نلخص أهم ما ينبغي أن يتحلى به حملة القرآن من أمور.

١- الإخلاص هو الأصل والأساس:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال جل جلاله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[٣].

---

(١) السابق (١/ ١٦٤).

(٢) «التبيان»، ص [٤٢].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٩٨٥].

قال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوساوس.

وقال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه(١).

ولله دُّر الربيع بن خثيم حين يقول: كل مالا يبتغى به وجه الله عَزَّ وَجَلَ يضمحل.

وعن سفيان قال: أخبرتني سرية الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سرًا إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه(٢).

تذكر دائمًا أن كل عمل لا إخلاص فيه لا يعد لك فيه ثواب بل أنت متوعد فيه بعقاب فإذا لم تخلص وقعت في الرياء عياذًا لله. وأنت أحق الناس بتحقيق الإخلاص لأنك عرفت ما جهل الناس، وعرفت حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وخطورة الرياء بالأعمال فأخلص في تعلمك وتعليمك أخلص في تعبدك ودعوتك أسأل الله أن يجعلني وإياكم من عباده المخلصين.

٢- استعل بما أعطيت في غير كبر:

يا عبد الله، أنت أكرم عند الله من أصحاب العقارات و العمارات والدور والقصور، والسيارات والشركات فكل ما هم فيه حساب وكل ما أنت فيه ثواب فلا تمدنَّ عينيك إلى زينة أموالهم وبهجة مناصبهم فكل هذا ظل زائل وعارية مسترجعة لا سيما وقد قرأت وحفظت قول ربك جَلَّ جَلَالَه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طٰهٰ: ١٣١].

فإياك أن يروا منك طمعًا في أموالهم وركونًا إلى مناصبهم فأنت في مقام أعلى ورتبة أكمل إذا انشغلوا هم عن القرآن بجمع ما ينفقونه في ملذاتهم فانشغل أنت بالقرآن تجد كل لذة ومتعة وشتان بين بصير بالعواقب ومفتون بالحاضر!.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٣-٩٤).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٦١)، ط: دار الوعي بحلب.

إن كثيرًا من أصحاب الأموال يتمنون ما أنت فيه من حفظ القرآن والقيام بالقرآن وذلك بعد ما جربوا الحياة عرفوا سفاهة الدنيا وحقارة حطامها.

هذا واحد من أثرياء الناس يقول باكيًا: كنت في بداية حياتي في كلية شرعية وكنت أقضي وقتًا طويلًا في حفظ القرآن ومراجعته ثم قلت لنفسي ذات يوم! ماذا أصنع بالقرآن؟ بماذ سينفعني؟! أنا أريد مالًا؟ أريد أن أكون صاحب سيارات وعمارات والقرآن لن يحقق لي ذلك يقول: ثم نمت في ذلك اليوم فرأيت في منامي كأني أمسك بالمصحف في يدي وأضمه إلى صدري فأتي إليَّ آتٍ فاختطف المصحف مني ثم ذهب بعيدًا فأصبحت ثم تبدل مجري حياتي ونسيت القرآن كله والتحقت بكلية التجارة، وتخرجت فيها ثم أصبحت ثريًا غنيًا ولكن بعد أن بلغ عمره خمسة وستين عامًا. ويقول: وأنا منذ خمس سنوات لا تمر بي ليلة إلا وأنا أبكي حسرة على ما فاتني من حفظ القرآن وتلاوته.

لذلك فأعلم أن ما أنت فيه خير مما فيه الناس فاشكر نعمة الله عليك واستشعر فضل الله عليك ثم تواضع لله جلَّ جَلَالَه وتذلل إليه تجد العزة والرفعة في الدنيا والآخرة.

٣- اعمل بما علمت فقد أقيمت عليك الحجة:

ما من آية من كتاب الله إلا وهي حجة لك أو عليك، وما من حكم بالحلال أو الحرام في القرآن إلا وأنت أول المطالبين به لأنك حفظت ووعيت وقد قال رسول الله ﷺ: «**القرآن حجة لك أو عليك**»(١).

فيا من وعى قلبه القرآن احذر أن يكون حفظك له حجة عليك وبرهان عليك بين يدي الله إذا خالفت أمر ربك وأسرفت على نفسك بمجاوزة حدوده قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٢٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

قال الشيخ بكر أبو زيد: ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملًا.

قال الشيخ ابن عثيمين شارحًا لذلك: لا يعد عالمًا أي ربانيًا فالعالم الذي يعمل بعلمه هو الذي يصدق عليه أنه عالمٌ رباني لأنه يربي نفسه أولًا وغيره ثانيًا إذ لا بد من العمل لأنه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة

وعالم بعلمه لم يعلمنْ معذب من قبل عابد الوثن[1].

٤- كن عالي الهمة صادق العزيمة:

من تربي على مائدة القرآن واستبصر قلبه بحقائق الفرقان وزكت نفسه بتلاوته فحقيقة به أن يكون عالي الهمة كثير البذل، مبادرًا إلى كل خير، حريصًا على تحصيل الأجور والحسنات، صادقًا في تعبده لربه، سباقًا إلى الطاعات. فهو يضرب في كل طاعة بسهم إنه يزداد كل يوم علمًا بالقرآن ويتعلم فيه كل يوم شيئًا جديدًا، لا يعرف التوقف والسكون بل هو يفتش عن المعاني ويجالس العلماء ينهل منهم ويستزيد، بل إذا سمع بمعالم عنده نوع من علم سارع إليه وسافر إليه.

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِعَيْشٍ مُعَجَّلٍ كَفَانِي مِنْه بَعْضَ مَا أَنَا فِيه
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمُلْكٍ مُخَلَّدٍ فَوَ أَسَفا إِنْ لَمْ أَكُنْ بِمُلَا قِيه

إن له في كل قربة نصيب تلمح نور الطاعة على وجهه، وتري أثرها في خلقه فهو كثير الصلاة، كثير الصيام، له في كل وقت طاعة تناسب ذلك الوقت، في مواطن الخير تجده، إنه مبارك أينما كان، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويدعو إلى الله، فإذا حَّل في

(١) «شرح حلية طالب العلم» لابن عثيمين [٢٠-٢١] دار الدعوة الإسلامية.

مكان فقد حلت فيه الطاعات وتوارت عنه المعاصي والسيئات فكن ذلك الرجل ادع الناس إلى الله، مر بالمعروف بمعروف وانه عن المنكر بغير منكر ، فحملة القرآن هم قدوة للناس في كل باب من أبواب الخير، هم أسوة للصالحين لأنهم أهل القرآن خير الخليقة بشهادة رسول الله ﷺ لهم.

خُـزَّانُ وَحْـيِ اللهِ لَـمْ يُـرَ غَيْرُهم ... أَهْـلًا لِـحِفْـظِ كَـلَامِـهِ الْمُخْتَارِ
لَـكِن عَـلَيْـهِم أَنْ يـقُـومُـوا بالَّذي ... فِـيـهِ مِـن الَـمَـشْـرُوعِ لِـلْأَبْـرَارِ
صِـدْقُ وَإِخْـلَاصُ وَحُـسْـنُ عِبَادةٍ ... وَقِـيـامُ لَـيْـلٍ مَـعْ صِـيـامِ نَـهَـارِ
وَتَـــورُّعٌ وَتَـــزَهُّـــدٌ وتَـعَـفُّـف ... وَتَـشَـبُّـهٌ بِـخَـلَائِـقِ الْأَخْـيَـارِ
وَدِيَـانَـةٌ وَصِـيَـانَـةٌ وَأَمَـانَـةٌ ... وَتَـجَـنُّـبٌ لِـخَـلَائِـقِ الْأَشْـرَارِ
وَأَدَاءُ فَـرْضٍ واجْـتِـنَـابُ مَـحَـارِمٍ ... وَإِدَامَـةٌ لِـلْـحَـمْـدِ وَالْأَذْكَـارِ
يَـا حَـامِـلَ الْـقُـرآنِ إِنْ تَـكُ هَكَذا ... فَـلَـكَ الـهَـنَـاءُ بِـفَـوزِ عُـقْـبِي الـدَّارِ
وَمَـتَـى أَضَـعْـتَ حُـدُودَهُ لَـمْ تنتفع ... بِـحُـرُوفِـهِ وَسَـكَـنْـتَ دَارَ بَـوَارِ

اللهم اجعلنا بالحق قائمين، وبهدى نبيك مقتدين واجعلنا لوجهك ناظرين في جنات النعيم إنك ولي ذلك والقادر عليه.

٥- إياك أن تنساه فتُنسى:

من عظمة القرآن وعزته أنه لا يبقى إلا في قلب يقظ يديم مراجعته وتلاوته فإذا أهمل ذلك رحل عنه القرآن ونسي المرء آياته فإن القرآن عزيز يهجر من هجره قال رسول الله ﷺ : «**تعاهدوا هذا القرآن فو الذي نفسي محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها**»(١).

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٣٣]، ومسلم برقم [٧٩١].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إنما مثل صاحب القرآن، كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»** (١).

وقال رسول الله ﷺ: **«بئس، لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّيَ، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعَّم بعقلها»** (٢).

قال النووي رحمه الله: فيه كراهة قول نسيت آية كذا وهي كراهة تنزيه وأنه لا يكره قول أنسيتها وإنما نهي عن نسيتها لأنه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنه وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦] ، وقال القاضي عياض أول ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لاذم القول أي نسيت الحالة حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه (٣).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله «واستذكروا القرآن» أي واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به (٤).

وفي حديث سمرة بن جندب الطويل قال رسول الله ﷺ: **«إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا اتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟!.**

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٣١]، ومسلم برقم [٧٨٩].

(٢) رواه البخاري برقم [٥٠٣٢] ومسلم برقم [٧٩٠].

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣/ ٣٣٥)، ط: دار الحديث.

(٤) «فتح الباري» (٨/ ٦٩٩)، ط: دار الريان.

obeikandl.com

وفي تأويل ذلك قال له الملكان: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس[(٢)].

لذلك أحذرك أخي الحبيب وأحذر نفسي من نسيان القرآن وهجره والإعراض عنه فأدم تلاوته، وأدم مراجعته واثبت على ذلك ومن أنفع ما يثبت به الحفظ ويقوي به القيام بالقرآن في صلاة الليل نسأل الله من فضله العظيم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه»**[(٣)] اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وارزقنا حسن التهجد به بين يديك إنك بكل جميل كفيل وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

٦- أخلاقك ثمرة إيمانك وعملك:

كما أن خير الكلام كلام الله تعالى فكذلك إن خير الناس من اشتغل به مخلصًا لله عَزَّ وَجَلَّ لذا كان لزامًا على أهل القرآن أن تكون أخلاقهم أحسن الأخلاق وسلوكياتهم أقوم وأعدل السلوكيات فخلق المرء عنوانه، خلق المرء هو الترجمة الواقعية لعلمه وإيمانه وعلى قدر امتلاء القلوب بالعلوم النافعة يكون حسن الأخلاق وطيبها وإن من إجلال حامل القرآن للقرآن وتعظيمه له أن ينأي بنفسه عن كل خلق ذميم صيانة لحق القرآن ورعاية لحرمته بل ينبغي أن يكون داعية بجميل خلقه إلى القرآن، لا بد أن يحبب الناس في القرآن وتلاوته وحفظه بروعة أخلاقه وجميل شمائله وصفاته لأنهم يطالعون في حامل

---

(١) رواه البخاري برقم [٧٠٤٧].

(٢) «الفتح» (١٢/ ٤٦٤).

(٣) رواه مسلم برقم [٧٨٩].

obeikandi.com

القرآن ثمرة تعلمه لكتاب ربه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(١).

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسانكم أخلاقًا**»(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قال لي فرعون بارك الله فيك قلت: وفيك وفرعون قد مات(٣).

قال الحسن: من ساء خلقه عذب نفسه.

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدبِ

قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسبِ

٧- كن مباركًا أينما كنت:

حملة القرآن لابد أن يكونوا هم حراس الدين وحماة الشرع يدمدمون الشرك والبدعة ويسحقون الفسوق والفجور بحكمة ورحمة ثم هم أول الدعاة إلى التوحيد الصافي والاتباع الصادق لرسول الله ﷺ مجالسهم بالخير عامرة، يهدون الحائرين ويرشدون التائهين ويعلمون الجاهلين وبتعليمهم للناس ينتشر الدين وينبغي أن يكونوا هم أحق الناس بقول رسول الله ﷺ: «**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله**»(٤).

قال ابن مسعود للربيع بن خثيم: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرتُ المخبتين.

---

(١) رواه الترمذي برقم [٢٠٧٠] وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» برقم [١٦١٨].

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٠١٨] وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٢٠١].

(٣) «صحيح الأدب المفرد» رقم [٨٤٨].

(٤) رواه الطبراني في «الكبيرة» [١٢٣٢]، وصححه الألباني في «الصحيحة»، رقم [١٧٣٣].

obeikandl.com

وقال أبو إسحاق السبيعي عن شيخه عمرو بن ميمون الأودي: كان إذا رؤي ذكر الله.

وكان محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا مَّر في السوق فما يراه أحدٌ إلا ذكر الله تعالى.

وقال الحسن البصري: الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء.

نعم يا حامل القرآن ينبغي أن تكون نافعًا للناس ناصحًا لهم، حريصًا على أن يقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله جَلَّ جَلَاله، كن نفاعًا للخلق بعلمك وهديك فقد كرمك الله وشرفك فكن للتكريم أهلًا.

أي أخي، لو صحَّت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالله واعجبًا لمن يدعي المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه فلا يذكره إلا بمذكر! أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب لو تغذى القلب بالمحبة لذهب عنه بطنة الشهوات. لو استنشقت ريح الأسحار لأفاق منك قلبك المخمور[1].

٨- لتكن رغبتك في الآخرة رغبة عن الدنيا:

يا أهل القرآن، لتكن رغبتكم فيما عند ربكم فما عند الله خير أبقى لاسيما وأنتم أعرف الناس بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النِّسَآء:٧٧] وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هُودٌ:١٥-١٦] لا بد أن تكونوا أرغب الناس في الآخرة وأزهد الناس في الدنيا فإياك أن تطلب بحفظك وتعلمك له وتعليمك إياه عرض الدنيا ويكون هو كل همك وغاية قصدك إياك أن تميل إلى الدنيا مع المائلين فتؤثرها وتقدمها، وتفتن عن غايتك العظمى وهي الدار الآخرة، إنه لا بأس أن يتقاضي المرء مالًا يتقوت به يأتيه من خلال تعليم القرآن لكن لا ينبغي أن لا تركن إلى ذلك وحده بل نيتك وقصدك بتعليمك لا بد أن

(١) «الفوائد» لابن القيم (٩٦-٩٧).

تكون رضوان الله . دع أهل الدنيا في دنياهم غارقين وأقبل أنت على الآخرة فلهم شأن ولك شأن آخر فبالقرآن تعظم قيمتك ومنزلتك في الدنيا والآخرة بالقرآن ينبل قدرك وترتفع مكانتك. بالقرآن لا بالدنيا. قال المزني سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته.

وعن يحيى بن معين قال: بلغني أن الأعمش قال:أنا ممن رفعه الله بالقرآن لولا القرآن لكان على رقبتي دنّ صحناء أبيعه وقال أيضًا: لولا القرآن وهذا العلم عندي لكنت من بقالي الكوفة.

وممن رفعه الله بالقرآن أبو العالية رفيع بن مهران وكان مولى لامرأة قال رَحِمَهُ اللَّهُ : كان ابن عباس يرفعني على السرير وقريش أسفل السرير فتغامزت بي قريش فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هكذا العلم يزيد الشريف شرفًا ويجلس المملوك على الأسرة.

وكان المحدثون يعظمون أهل القرآن تعظيمًا كبيرًا فهذا الإمام شيخ الإسلام وشيخ المقرئين والمحدثين سليمان بن مهران الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ مع أنه كان معروفًا بشدته على طلاب الحديث يقول:

كان يحيى وثاب من أحسن الناس قراءة ربما اشتهيت أن أقبل رأسه من حسن قراءته وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد.

وقال الحسن بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام كان يبدأ بأهل القرآن ثم يأذن لأصحاب الحديث وكان لا يرى استصغار حامل القرآن بل لا بد من توقيره فإن معه أعظم وأفضل ما يرفع له الناس[1].

فأنت يا حامل القرآن أولى الناس بتحقير ما حقر الله وتعظيم ما عظم الله وغايتك أكمل ومقصدك أنبل، فقيمتك ما تطلبه وقدر كل امرئ ما كان يحسن وأكرمكم عند الله

(١) «حرمة أهل العلم» (٢٨٣-٢٨٤)، ط: دار الإيمان.

أتقاكم ولا يستوي عند الله من سارع إليه وسابق إلى مرضاته ونافس الخلق إليه وآخر تثاقل إلى الأرض واتبع هواه فانطلق إلى ربك إلى بصيرة وخذ من القرآن زادك ونورك وبالله استعن وعليه توكل ولوجهه فاعمل.

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة	فاجعل إلهي خير عمري آخره
وارحم مبيتي في القبور ووحشتي	وارحم عظامي حين تصبح ناخرة
فأنا المسكين الذي أيامه ولَّـ	ـتْ بأوزار غدت متواترة
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم	وبحار جودك يا إلهي زاخرة

٩- الزم خشية ربك ومراقبته حتى تلقاه:

يا أهل القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم من خشية ربكم؟ ما هو أثر القرآن العظيم في قلوبكم؟! علمتم فهل عملتم؟! حفظتم وقرأتم فهل تدبرتم؟! هل رقت قلوبكم ودمعت عيونكم واقشعرت أبدانكم؟! يا أهل القرآن من أولى بذلك منكم؟! إنه على قدر علمك بالله تخشاه وعلى قدر جهلك تكون جرأتك وغفلتك قال الله جَلَّ جَلَالَه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨]

قال الله جَلَّ جَلَالَه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَدِيد: ٤] وقال ربنا جَلَّ وعلا: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٥] وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي المرء ما حرم الله عليه**»(١).

وفي حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَام أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك(٢).

ومن هذا الحديث يتضح أن المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله

(١) رواه البخاري [٥٢٢٣]، ومسلم رقم [٢٧٦١].

(٢) رواه مسلم برقم [٨].

سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت ولحظة وكل نفس وطرفة عين وقد قيل من راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله.

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ونفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك[1].

أي أخي:

من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس ومن عرف ربه اشتغل به عن هوي نفسه، أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه، وأخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس، من تلمح حلاوة العاقبة هان عليه مرارة الصبر، لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له.

قيل لبعض العباد: إلى كم تتعب نفسك؟ فقال: راحتها أريد.

أي أخي: من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه، للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس فمن هتك الستر الذي بينك وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

- للعبد ربٌّ هو ملاقيه، وبيتٌ هو ساكنه، فينبغي له أن يترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل الانتقال إليه.

- إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

- الدنيا من أولها التي آخرها لا تساوي غمَّ ساعة فكيف بغم العمر.

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين»، ص [٣١١]، ط: المكتبة القيمة.

-أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل الوقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها.

-ولو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب. ولو نفع العمل بغير إخلاص لما ذم المنافقين[١].

فيا أهل القرآن، لستم على شيء حتى تقيموا القرآن! يا أهل القرآن لا بد أن تكونوا أنتم نبض الأمة وحركتها، وسبيل نهضتها من غفلتها، كونوا نورًا يهدى، وبرهانًا يسطع، وحجة ترشد وتقوِّم، من يحمل هم الدين إن لم تحملوه أنتم؟ من ينصره وينشره إن لم تنصروه وتنشروه؟ من أحق بدلالة الخلق على الحق غيركم؟ كم رجلًا اهتدى على يديك؟ كم إنسانًا حفظ القرآن وأحبه وصار منهج حياته على يديك؟ كم أدبًا علمته؟ كم خيرًا نشرته؟ أين دورك في إغزاز الأمة؟! إياك أن تكون باردًا متثاقلًا إلى الأرض فإن في صدرك أعظم الإعجاز وأبهى الحج وأصدق البراهين وسر الحياة وروحها فاحفظ نعمة الله بشكرها والقيام بحقها.

حقًا أخي إن مسئوليتك أمام الله كبيرة ودورك المنتظر منك عظيم فاحذر سؤال الله لك يوم القيامة عن واجب الدعوة والتعليم والبلاغ وعن القيام بحق هذا القرآن الذي أنعم عليك بحفظه. هيا سر إلى ربك على بصيرة وابذل ما استطعت لتصل إلى رضوان ربك، ومعك القرآن هنيئًا لك بما أعطيت ولكن قم بحقه وأد شكر النعمة يزدك الله منها.

يا حامل الذكر الحكيم تحية ... أنقى من الفجر الضحوك وأصدقُ
قرآننا روح الحياة ونبضها ... غيث به تحيا القلوب وتخفقُ
هو للورى دستور حق خالد ... ورشادهم في ظله يتحققُ

(١) من كلام ابن القيم في كتاب «الفوائد».

هو للنفوس البائسات سعادة ... وبغيره تشقى النفوس وتزهق

هو في السلام إذا ارتضينا حكمه ... خرست حناجر بالدعاوى تنعقُ

وهو الذي في الحرب نرسل آيهُ ... شهبًا تبيد الظالمين وتحرقُ

الله شرفكم بحمل كتابه ... فتمسكوا دومًا به وتخلقوا

قوموا به ليلًا طويلًا تربحوا ... عند الجزاء تجارة لا تنفقُ

طوبى لمن هجر المنام وقامه ... يرجو به عيش الجنان ويعشقُ

بشرى لكم يوم القيامة قوله ... هيا اقرؤوه ورتلوه وارتقوا

openkandl.com

obeikandl.com

خاتمة

أحبتي إخوتي، القرآن نورنا وحياتنا، سبيلنا وعنواننا، به تمسكنا وإليه انتماؤنا، له نغار وبه نشبث ونعمل ولو مزقت أشلاؤنا وسفكت دماؤنا وهل لنا شرفٌ بغيره؟! وهل لنا عزة بدونه؟! وهل لنا بقاء إلا به؟! وهل لنا وجود أو حياة إلا بالقرآن المجيد؟! فيه مجدنا وطمأنينة قلوبنا فيه نجاتنا وعقيدتنا وشريعتنا فيه أخلاقنا، وهو الأصل والأساس في كل حياتنا ولا يفرط فيه إلا مخذول، ولا يعرض عنه إلا محروم ولا يصد عنه إلا ملحد كفور، أو زنديق موتور أو جاهل مغرور أو سكران مخمور.

القرآن سر فلاحك وسبب فوزك فليتك تقبل عليه بحب وشغف وتكثر من تلاوته وتدبره وسماعه، فالقرآن إخوتي - أنيسنا في وحشتنا، ورفيقنا في غربتنا، ودواءنا عند مرضنا، وجلاء همومنا وذهاب أحزاننا، هو قرة عيوننا وبهجة قلوبنا، نتلوه في خلواتنا وفي وأسفارنا، وآناء الليل والنهار في بيوتنا لأنه كلام ربنا.

نعم القرآن وما أدراك ما القرآن! كلام الله الملك الرحمن فحق على كل من آمن بالله أن يعظم هذا القرآن وأن يوقره، ويحكمه ويتدبره، ويتلوه ويتعلمه، ويدارسه ويعلمه، ليت البشرية تدرك عظمة القرآن وشدة حاجتها إليه!! فوالله ثم والله إن في هذا القرآن- وفيه وحده - الإنقاذ الكامل لهذه البشرية الغارقة في التيه والضلال، المكبلة بالآصار والأغلال، في القرآن وحده ذهاب لهذا القلق المفزع والكدر المؤلم والانتحار المتكرر الذي نراه ونسمعه كل يوم بل كل لحظة، وفي القرآن وحده شفاء لهذه الأمراض النفسية المحطمة التي تكدست بها الدول والمستشفيات، وفي القرآن وحده تطهير الأرض من هذه الغوغائية والمادية القاتلة التي لا يرحم فيها الإنسان أخاه الإنسان، بل الكلمة فيها للقوي مهما كان خبيثًا مفسدًا، والنفاق هو السبيل الوحيد لمن أراد أن يعيش آمنًا وإن كانت حياته مهنية ذليلة وكأن عُرف الغابة هو الذي يسيطر ويسود!!.

والقرآن هو الذي يملك الخلاص الحقيقي والاستقرار الآمن، وهدوء الخاطر ومتعة الحياة فيا أمة القرآن لابد أن تكون حياتكم به ومفزعكم إليه وتحليكم بأخلاقه ودعوتكم إليه ليري العالم كله فيكم أمة مثالية فيها كل معالم الخيرية، وأنتم كذلك إذا أخذتم بحبل الله المتين، ونوره المبين، بأيديكم وحدكم مشعل الهداية الأعظم، وسبيل الحق الأوحد، وطريق المجد الأخلد، والعزة الأتلد، فهيا نزيل ذلك الران الذي غطي القلوب ونذهب تلك الوحشة التي سيطرت على النفوس ولنسارع إلى القرآن ونأخذ به ونمتع قلوبنا وألسنتنا وآذاننا وعقولنا بتلاوته وسماعه وتدبره فهو المعجزة الباقية والحجة البالغة الشافية، ولا ولن تسعد أنت ولا ولن أسعد أنا ولا ولن تسعد الخليقة كلها إلا بالقرآن.

فالقرآاااان القرآاااان يا أمة القرآن!!

يـــارب أول شـــيء قـالـه خلدي أنـي ذكـرتـك فـي سـرِّى وإعلاني
فـو الـذي قـد هـدى قلبي لطاعته لأذهـبـن بـوحـي مـنـك أحـزانـي

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وارزقنا إقامة حدوده وحروفه وحفظه وتدبره. وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله والحمد لله رب العالمين

وكتبه
سيد عطوة

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات

onlinekandil.com

قائمة المراجع

١- إعجاز القرآن، الباقلاني، ط مكتبة مصر.

٢- إعجاز القرآن، الرافعي، ط التوفيقية.

٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، ط مكتبة الإيمان.

٤- أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ط دار الفضيلة.

٥- أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة، ط د ار الفكر العربي.

٦- أضواء البيان، للشنقيطي، ط ابن تيمية.

٧- آيات الله في الآفاق، للزنداني.

٨- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ط المختار الإسلامي.

٩- الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان، د. نبيل الشنواني، ط دار القلم.

١٠- الإصابة، لابن حجر، ط دار الكتب العلمية.

١١- الانتصار للقرآن، الباقلاني، ط دار ابن حزم.

١٢- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط دار الحديث.

١٣- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ط دار الكتب العلمية.

١٤- التبيان في علوم القرآن، محمد على الصابوني، ط مكتبة الغزالي بدمشق.

١٥- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ط مؤسسة التقويم.

١٦-التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ط التوفيقية.

١٧- التبصرة، لابن الجوزي، ط دار الحديث.

١٨- التسهيل لتأويل التنزيل، للشيخ مصطفي العدوي، ط ماجد عسيري.

١٩- التفسير القيم، لابن القيم، ط دار الصفا.

٢٠- التوارة والإنجيل والقرآن، د. موريس بوكاي، ط مكتبة القرآن.

٢١- الحذف البلاغي في القرآن، مصطفي أبو شادي، ط مكتبة القرآن.

obeikandl.com

٢٢- الجزاء من جنس العمل، د. العفاني، ط ابن تيمية.
٢٣- الداء والدواء، لابن القيم، ط دار بن رجب.
٢٤- الرقة والبكاء، لابن قدامة، ط التوفيقية.
٢٥- الشفا بتعريف أحوال المصطفى، للقاضي عياض، ط دار ابن رجب.
٢٦- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط دار صادر.
٢٧- العائدون إلى الله، لمحمد المسند.
٢٨- العظمة، د. عائض القرني، ط دار بن حزم.
٢٩- الفوائد، لابن القيم، دار إحياء الكتب العربية.
٣٠- القرآن معجزة المعجزات، أحمد ديدات، ط مكتبة القرآن.
٣١- القرآن يتحدى، أحمد عز الدين، ط دار صادر.
٣٢- القرآن في حياة المسلم، د. محمود محمد عمارة، ط مكتبة الإيمان.
٣٣- القواعد الحسان، السعدي، ط دار الاستقامة.
٣٤- المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي.
٣٥- المحتضرين، لابن أبي الدنيا، ط، دار ابن حزم.
٣٦- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، المباركفوري، ط دار السلام.
٣٧- اللغة الباسلة، د. فتحي جمعة، ط دار الثقافة العربية.
٣٨- المعجزة الكبرى، الشيخ أبو زهرة، ط دار الفكر.
٣٩- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، د. أحمد مصطفي متولي، ط دار ابن الجوزي.
٤٠- النبأ العظيم، د. محمد دراز، ط دار القلم.
٤١- الهوية، د. محمد إسماعيل المقدم، ط دار ابن الجوزي.
٤٢- الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان، ط الرسالة.
٤٣- الوسيط في تفسير القرآن، الواحدي، ط دار الكتب العلمية.
٤٤- بصائر في الفتن، د. محمد إسماعيل المقدم، ط الدار العالمية.

obeikandl.com

٤٥- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ط دار الكتب العلمية.
٤٦- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ط دار المنار.
٤٧- تدبر القرآن الكريم، الفوزان، ط دار الإيمان.
٤٨- تدبر القرآن، سلمان السنيدي، ط مجلة البيان.
٤٩- تذكرة السامع والمتكلم، ابن جماعة، ط دار رمادي.
٥٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ط التوفيقية.
٥١- تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، ط دار الكتب العلمية.
٥٢- تفسير الماوردي، للإمام الماوردي، ط دار الكتب العلمية.
٥٣- تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ط دار ابن الجوزي.
٥٤- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، البسَّام، ط مكتبة الرشد.
٥٥- تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، ط المكتبة القيمة.
٥٦- حرمة أهل العلم، د. محمد إسماعيل المقدم، ط مكتبة دار الإيمان.
٥٧- حلية الأولياء، أبو نعيم، ط دار الكتب العلمية.
٥٨- حياة الصحابيات، فؤاد سراج، ط التوفيقية.
٥٩-دليل الأنفس في القرآن، محمد توفيق، ط دار السلام.
٦٠- دراسات في علمي المعاني والبديع، د. حسن طبل، ط مكتبة الزهراء.
٦١- زاد المسير، ابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية.
٦٢- زبدة التفسير، محمد الأشقر، ط وزارة الأوقاف بالكويت.
٦٣- سيرأ علام النبلاء، الذهبي، ط الرسالة.
٦٤- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ط المكتب الإسلامي.
٦٥- شرح حلية طالب العلم، ابن عثيمين، ط دار الدعوة الإسلامية.
٦٦- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ط دار النفائس.
٦٧- صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، ط دار الحديث.

obeikandi.com

٦٨- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، ط المكتب الإسلامي.
٦٩- صفة الصفوة، ابن الجوزي، ط دار المنار.
٧٠- عون المعبود، شمس الحق آبادي، ط التوفيقية.
٧١- عمر بن الخطاب، د. الصلابي، ط دار التقوي.
٧٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ط الريان.
٧٣- فصل البيان في العلاج بالقرآن، محمد رمضان، ط دار الإيمان.
٧٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط دار الشروق.
٧٥- فضائل القرآن لابن كثير، تحقيق الحويني، ط ابن تيمية.
٧٦- فضائل القرآن، أبو الفضل الرازي، ط دار البشائر.
٧٧- لماذا أسلم صديقي، د. إبراهيم خليل، ط مكتبة التراث.
٧٨- لا يأتون بمثله، محمد قطب، ط دار الشرق.
٧٩- مبشرات النصر والتمكين، د. العفاني، ط معاذ بن جبل.
٨٠- محاسن التأويل، القاسمي، ط دار الحديث.
٨١- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ط دار العقيدة.
٨٢- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط العبيكان.
٨٣- مجلة الإعجاز العلمي، هيئة الإعجاز العلمي.
٨٤- مجلة الشريعة والدراسات.
٨٥- معالم أصول الفقه، الجيزاني، دار ابن الجوزي.
٨٦- مفاتيح تدبر القرآن، د. خالد اللاحم، ط دار الصديق.
٨٧- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ط التوفيقية.
٨٨-من أعلام السلف، د. أحمد فريد، دار العقيدة.
٨٩- من آيات الإعجاز العلمي، أحمد فراج، ط دار الشروق الدولية.
٩٠- موسوعة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، المباركفوري، ط دار كندة.

obeikandl.com

٩١- موسوعة الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ط وزارة الأوقاف بقطر.
٩٢- موسوعة القصص الواقعية، مصطفى كامل، ط الدار العالمية.
٩٣- معارج القبول، حافظ حكمي، مركز الهدى.
٩٤- نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي، ط دار الكتب الحديثة.
٩٥- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾، الشيخ مصطفى العدوي، ط مكتبة مكة.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com